مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة
مجلد (٦٠) عدد(٤) أكتوبر ٢٠٠٠

جون سيرل ومشكلة الوعى

د. صلاح إسماعيل
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١ - تمهيد: من فلسفة اللغة إلى فلسفة العقل .

جون سيرل (١٩٣٢) فيلسوف أمريكى ينتمى إلى تيار الفلسفة التحليلية ، وتأتى إسهاماته الفلسفية فى مجالين متقاربين هما فلسفة اللغة وفلسفة العقل ، وتضم قائمة مؤلفاته عشرة كتب وعددا ضخماً من البحوث والمقالات كان آخرها بحث بعنوان « الوعى » عام ٢٠٠٠ . ونظراً لجدة أفكاره وطرافة نظرياته ورفعة أسلوبه ، فإنه الآن بين الفلاسفة لا تغضى عنه عين ولاتصم من دونه إذن ، وليس أدل على ذلك من أن أعماله قد ترجمت إلى أكثر من عشرين لغة .

ويمارس سيرل الفلسفة بوصفها تحليلا مفهوميا» (conceptual analysis) ، وهو بذلك يقترب من فلاسفة مثل فتجنشتين ومدرسة أكسفورد ويبتعد قليلا عن فلاسفة تحليليين آخرين مثل كواين الذى يمارس الفلسفة بوصفها جزءاً من العلم . ورغم أن سيرل تتلمذ فى مدرسة «أكسفورد » على يد أوستن بصفة خاصة ، وتأثر بمنهج التحليل اللغوى ، فإنه أوضح فى مستهل كتابه « أفعال الكلام » أنه يمارس «فلسفة اللغة » (philosophy of lan-guage) وليس الفلسفة اللغوية (linguistic philosophy) . والفلسفة اللغوية تسعى

إلى حل المشكلات الفلسفية التقليدية من خلال العناية بالطريقة التى تستخدم فيها كلمات ذات أهمية فلسفية ، والفلسفة اللغوية بهذه الصورة «منهج» فلسفى . أما فلسفة اللغة ، التى هى «موضوع» من موضوعات الفلسفة فإنها « محاولة» لتقديم أوصاف تنويرية فلسفيا لبعض الملامح العامة فى اللغة مثل الإشارة والصدق والمعنى والضرورة»(١) وعلى الرغم من أن كثيرا من فلاسفة اللغة المعاصرين ربما يختلفون مع إجراءات سيرل ونتائجه ، فإنهم سوف يقبلون هذا الوصف لعملهم ، والحق أن سيرل لم يشارك فى الإساءة إلى الفلسفة اللغوية التى لايزال على استعداد لوصفها بأنها ثورة فى الفلسفة ، ومع ذلك فإنه ينقد أنصارها ؛ صحيح أنهم قد امتلكوا بالتأكيد انتباها دقيقا للتمييزات اللغوية ، ولكنهم افتقروا إلى الآلية النظرية (theoretical machinery)(٢) والهدف الذى يروم سيرل تحقيقه هو تقديم هذه الآلية النظرية للبحث الفلسفى .

ولقد حفل سيرل فى حياته الفكرية المبكرة بنظرية أفعال الكلام (speech acts theory) التى وضعها أوستن وطور سيرل هذه النظرية وأضاف إليها عناصر جديدة تنسب إليه يأتى فى طليعتها التركيز على الدور الذى تقوم به المقاصد (intentions) لدى المتكلمين والملتقين فى تكوين معنى أفعال الكلام . ،وبعد أن انفق سيرل وقتا ليس بالقليل فى دراسة فلسفة اللغة تحول إلى فلسفة العقل ، وأدرك العلاقات القائمة بينهما ، يقول سيرل فى حواره مع ماجى إذا أخذت السؤال كيف تمثل (represent) لغتنا الواقع ، مأخذ الجد ، فإنك سوف تضطر فى نهاية الأمر إلى العودة إلى السؤال : كيف يمثل أى شىء أى شىء ؟ وهذا يقودك إلى فلسفة العقل ، والسؤال الأساسى فى فلسفة العقل هو : كيف تستطيع حالاتنا العقلية أن تمثل سير الأحداث فى العالم (٣) .

وهذا التحول من فلسفة اللغة إلى فلسفة العقل يشير إليه سيرل فى السيرة الذاتية الموجزة ، التى أوضح فيها إسهامه فى فلسفة العقل عندما يقول : «نشأ عملى فى فلسفة العقل من عملى المبكر فى فلسفة اللغة ، وبصفة خاصة نظرية أفعال الكلام ، ولقد حفل

معظم عملى فى فلسفة العقل بموضوعات فى القصدية (intentionality) وبينها على وجه الخصوص قصدية الإدراك الحسى والفعل ، وعلاقة قصدية العقل بقصدية اللغة ،. وكتبت بصورة واسعة أيضا فى العلم الإدراكى (cognitive science) وبخاصة نقائص النموذج الحسابى (computational model) فى العقل . وارتبط جانب آخر من عملى بمشكلة العقل والجسم وطبيعة الوعى وبنيته ، وعلاقة الوعى باللاوعى والصيغة الملائمة للتفسير فى العلوم الاجتماعية وتفسير السلوك الإنسانى بصفة عامة (٤) .

وهكذا نرى أن الموضوعات الأساسية التى يعالجها سيرل فى فلسفة العقل هى صياغة متطبعة (naturalized) فى الوعى ، ونقد النزعة الحسابية فى العقل والذكاء الاصطناعى القوى ، والقصدية . وترتبط هذه الموضوعات فيما بينها ارتباطا وثيقا ، ذلك أن الموضوع الثانى يأتى تدعيما للأول ، ويرتبط الثالث بالأول بطريقة معينة سوف تتضح فى الصفحات التالية :

ويسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية :

١ - صياغة مشكلة الوعى صياغة تساعد فى حلها .

٢ - تحديد الاتجاهات الأساسية فى معالجة مشكلة الوعى .

٣ - إعادة بناء آراء سيرل فى الوعى بحيث تشكل بنية منطقية مترابطة الأجزاء .

٢ - مشكلة الوعى :

ربما لايجانب الصواب : إذا قلنا : لا توجد ظاهرة أكثر ألفة لنا فى العالم من الوعى ، ولا توجد ظاهرة أكثر حيرة لنا فى العالم من الوعى أيضا ، فنحن نعرف الوعى معرفة حميمة أكثر من معرفتنا لبقية العالم ، ولكننا نفهم بقية العالم فهما يفوق فهمنا للوعى ، والعجيب أن ظاهرة الوعى هذه المألوفة لكل واحد منا مراوغة كأشد ما تكون المراوغة لأية دراسة منهجية سواء فى العلم أو فى الفلسفة . ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يسلم الفلاسفة والعلماء بأن الوعى هو اللغز الأكبر .